الفصل الرابع

طرق البحث وجمع المعلومات

٣ ـ دراسة الحالة

يرجع الفضل الى الخدمة الاجتماعية فى بيان أهمية هذه الطريقة . إذ وجد الاخصائيون الاجتماعيون أنه يهمهم فى خدمة الحالات الفردية معرفة أفراد الأسرة وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، كذلك المستوى الاجتماعى والاقتصادى لها ، وظروف الحمل بالنسبة للفرد وحياته فى طفولته ، وحالته الصحية والأمراض التى تعرض لها طول حياته ، والظروف المحيطة به حاليا والتى سببت مشاكله .

وهناك طريقتان لدراسة تاريخ الحالة أولاهما كتابة مذكرات يومية عن الفرد منذ طفولته ، وتسجيل كل ما يمكن ملاحظته عنه فى مراحل نموه المختلفة ـ ومثل هذه الدراسات كما يبدو تستمر فترة طويلة . وقد اتبعها كثير من العلماء فى حالات التتبع . والثانية يكون جمع الملاحظات والمعلومات فيها بالعودة إلى الماضى بسؤال الفرد نفسه أو والديه أو غيرهما ممن عاشوا معه فترة طويلة من حياته . ويؤخذ على هذه الطريقة أنهـا تعتمد على الذاكرة وكثيرا ماتخون الذاكرة . ويؤدى هذا إلى عدم اكتمال المعلومات لنسيانها أو تضمين الدراسة معلومات مشوشة ، غير أن هذه الطريقة غالبا ما تكون السبيل الوحيد لدراسة الحالات . وتسمى هذه الطريقة أحيانا بالطريقة الاكلينيكية ، وهذا إذا كان الهدف منها صالح الفرد نفسه .

مصادر المعلومات لدراسة الحالة للمنحرف أو المجرم

تستقى المعلومات فى العادة من المصادر الآتية :

١ ـ السلوك الحالى للمجرم أو المنحرف بما فى ذلك الاداء اللغوى :

يعتبر هذا المصدر من أهم المصادر وأحسنها إذ يتضمن ملاحظة السلوك وتطبيق المقاييس النفسية المختلفة ، وتسجيل السلوك أثناء تطبيق الاختبارات أو فى المواقف التجريبية التى تصمم للحصول على استجابات خاصة لأهداف خاصة للبحث العلمى ، كما تتضمن الملاحظة المباشرة للسلوك فى المواقف الاجتماعية ومواقف الحياة المختلفة والتى تزيد أهميتها للأغراض العلمية إذا ما كان التسجيل منظما ومستمرا ويتم وفقا لخطة .

٢ ـ انتاج المجرم او المنحرف الذى يتركه كسجلات مستديمة :

ويتضمن ذلك انتاجا مثل الرسم والخطابات والموضوعات الحرة . . . الخ وهى غالبا ماتعطى معلومات لها قيمتها من البيانات التى جمعها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية فى دراسة المسجونين ما كانوا يسجلونه على حوائط السجن . ويفكر المركز حاليا فى جمع المعلومات من حوائط سجن مصر قبل هدمه . وتزداد قيمة هذه المعلومات إذا ما عرفنا المعلومات الاضافية الخاصة بتاريخها ، أو العمر الذى كتبت فيه والظروف التى أوحت بها .

٣ ـ السجلات المدرسية والحكومية وما اليها :

وتتضمن كل أنواع السجلات التى تقدمها الهيئات المختلفة التى تتعامل مع المنحرفين والمجرمين ، إذ تتنوع السجلات التى تحفظ للفرد منذ ميلاده من شهادة الميلاد الى السجلات المدرسية إلى سجلات العمل وسجلات البوليس والقضاء وما اليها ، وكلها تحوى معلومات صادقة ولها دلالتها . وتتجلى المهارة فى طرق الحصول عليها واستخراج البيانات اللازمة منها .

٤ ـ التأمل الباطنى الذى يقوم به المجرم أو المنحرف :

ويقصد بالتأمل الباطنى قيام الفرد بملاحظة مايدور بداخليته والتعبيرعنه وإن كانت الاتجاهات الحديثة لاتعطى هذا الأسلوب أهمية كبيرة ، إلا أنة يعتبر تعبيراً لغويا أو سلوكا له أهميته مع مرعاة اتجاهات البعض إلى المبالغة فى التعبيرعن مشاعرهم وقصور البعض الآخر عن التعبير اطلاقا ، ومع ذلك فسواء المبالغة أو القصور فن الممكن استخراج معلومات نفسية منها تفيد فى فهم المفحوص .

٥ ـ ذكريات الشخص عن حياته وطفولته :

كانت هذه الذكريات فى يوم من الأيام المصدر الوحيـــد الذى نستقى به المعلومات عن المجرم الفرد وعن حياته فى الطفولة.وتختلف الذكريات التى يسوقها الأفراد عن حياتهم من ناحية الاكتمال والدقة واحتمال الخطأ . ونميز حاليا بين نوعين من التكنيكات للتوصل إلى مثل هذه الذكريات احدهما لتسجيل الذكريات الشعوريه التى يعرفها الشخص عن نفسه والثانى بالتوصل إلى الذكريات المدفونة المنسية إما بالتداعى الحر أو بالطرق الاسقاطية ، غير أن الاتجاه الحالى عموما يعطى الأهمية لردود أفعال الشخص الحالية واعطائها الأولوية على السلوك الماضى.

٦ ـ ذكريات الآخرين عن حياة الفرد ممن يعرفونه :

وتتضمن كل الآثار التى تركها الفرد فيمن اتصلوا به فى حياته وتعاملوا معه والتى يذكرها الآخرون عنه . وإن كانت مثل هـذه المعلومات غالبـا ما تكون غير تامة ومهوشة وتصطبغ بالتحيز مما يقلل من قيمتها العلمية غير أن لها فى كثير من الأحيان فائدتها . وكلما بعـدت المدة التى تمت فيها الصلة بين صاحب الحالة والمتحدثين عنه كلما قلت أهمية مثل هذه المعلومات .

٧ ـ دراسة الاباء والاخوة والاقارب والبيئة والثقافة التى نشا فيها الفرد :

ولا يؤدى هذا المصدر الى اعطائنا معلومات مباشرة عن الفرد نفسه بيد أنه يمدنا بمادة نستطيع فى ضوئها تحليل نتائج ملاحظتنا ومعلوماتنا التى حصلنا عليها من مصادر أخرى وهى ضرورية لتصوير كثير من العوامل التى لها أهميتها .

المعلومات الضرورية لدراسة الحالة :

١ ـ تاريخ حياة الفرد :

ويبدأ ذلك بمعرفة حياته الأولى فى أسرته أو مع من قاموا على تربيته فى السنوات الأولى من حياته ، ومعرفة الحالة الصحية والعقلية لأفـــراد الأسرة ، ونوع العلاقات السائدة بين أفرادها .

ومما يخشى منه فى تسجيل تاريخ حياة الفرد أن كثيرا من الأحداث التى تكون ذات أهمية خاصة قد تنسى لمرور زمن طويل عليها أو لكبتها . واليك قائمة بأهم ما يجب أن تتضمنه دراسة تاريخ الحياة :

أ ـ البيئة :

يجب أن تبين المعلومات هنا ما إذا كانت البيئة حضرية أم ريفية ، ومستواها الاقتصادى والاجتماعى والبيئة السكنية .

ب ـ تكوين الاسرة :

وتتضمن معلومات عن الوالد وعمـــره ومهنته ومميزاته الشخصية وعلاقته بزوجته وأولاده وغيرهم من أفراد الأسرة ، وعن الأم وعمرها ومميزاتها الشخصية وعلاقتها بالزوج وبالأبناء وغيرهم من أفراد الأسرة ، وعن الأخوة وأعمارهم وعلاقة بعضهم ببعض وبالوالدين ، وعن أفراد الأسرة الآخرين ، كذا المستوى الاقتصادى والاجتماعى .

٥ ـ تاريخ حياة الفرد نفسه :

إذ يجب معرفة كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن تاريخ طفولته والأحداث التى تعرض لها بالاضافة إلى تاريخ حياته الدراسية كلها ونشأته من الناحية العلمية والاجتماعية .

٦ ـ القدرة العقلية العامة :

ويقصد بها مستوى الذكاء العام للفرد الذى يساعده على النجاح فى الدراسة ، فكل مؤسسة تضم بين جوانبها عدداً من الأفراد يختلفون فيما بينهم فى القدرة على التحصيل والنجاح سواء فى الحياة العلمية أو المهنية ولا يمكن أن تتساوى أى مجموعة من الأفراد فى هذه القدرة ، لذا تختلف ـ تبعاً لذلك ـ فرصتهم فى النجاح من مجال لآخر . إذ أن كل مجال من مجالات الحياة يتطلب مستوى معيناً من الذكاء يساعد على النجاح فيه ، وقد يتوفر هذا للبعض ولا يتوفر للبعض الآخر مما قد يؤدى إلى فشل من لا يتوفر لديهم الذكاء المطلوب ، وما يترتب على ذلك من ضياع الوقت والمجهود لبلوغ هدف لن يتمكن المرء من بلوغه ، ولعل معرفة مستوى ذكائه قد تساعده على تغيير اتجاهه وتوجيهه فيما يؤهله له هذا الذكاء . كما أن هناك من الأفراد من هم فى مستوى عال للذكاء ، بيد أنهم لا يستغلون هذه القدرة استغلالا تاما قانعين بمجرد النجاح ، ولعل تعرفهم على مستوى ذكائهم يساعدهم على بذل الجهد لاستغلاله إلى أقصى حد يؤهلهم له هذا الذكاء .

ونحن نفتقر فى مصر إلى اختبارات الذكاء الموضوعية المتعددة التى يمكن استعمالها فى قياس الذكاء كما ذكرنا . ولعل أقدم هذه الاختبارات عندنا هى الاختبارات التى وضعها اسماعيل القبانى وهى اختبار الذكاء الابتدائى والثانوى ، غير أنه قد انقضت فترة طويلة على هذه الاختبارات منذ ظهورها دون أن تقوم بحوث علمية تذكر لتثبت مدى صدقها وصحتها . وقد ظهرت ترجمة للصورة «ل»

من مقياس ستانفورد بينيه المعروف . وإن كان هذا الاختبار لم يقنن بعد للاستعمال مع المصريين ، كما أنه اختبار فردى يحتاج إلى خبرة فنية لاعطائه ولا يوجد من درب على استعماله فى مصر إلا أقلية قليلة ، غير أن مترجما هذه الاختبارات (١٩٥٧) قد وعدا بالقيام بالدراسات اللازمة لتقنينه ، ولم تتم هذه الدراسة حتى الآن للافتقار إلى الامكانيات .

ومما لا شك فيه أن الاخصائى الخبير يتمكن من الحكم حكما عاما على مستوى الذكاء العام للفرد بمثل هذا الاختبار فى مرحلته التجريبية هذه ، ومن تفاعله مع الفرد فى المقابلة ، وأثناء عملية القياس ، وبالتعرف على مدى ما بلغه من مستوى فى تحصيله العلمى ، ومعلوماته العامة ، وطريقته فى تفكيره ، وقدرته على التصرف فى المواقف المختلفة . ونحن لا ندعى أن مثل هذا الحكم يجانبه الخطأ ، أو أنه يكون من الدقة بمكان ، بيد أنه ما قد يقلل من احتمال الخطأ فى التقدير مدى خبرة الاخصائى وطول مرانه ، كما أن التقدير يجب أن يعضد بما يجمعه الاخصائى من معلومات بالطرق الأخرى .

٣ - التحصيل المدرسى :

يعتبر التحصيل المدرسى السابق للفرد أحسن دليل على مدى ما يمكن أن يحصله فى المستقبل . والدرجات فى المواد المدرسية هى أول ما يلفت النظر لتقويم عمل الفرد وتوجيهه الوجهة التى يمكن أن ينجح فيها . وليست الدرجات دائماً مقياساً صادقاً لقدرة الفرد على التحصيل ، إذ كثيرا ما تتدخل فيها عوامل مختلفة . وكم رأينا من التلاميذ من كانت تقديراتهم فى مواد المدرسة الثانوية تدل على فشلهم فيها ، بيد أنهم أظهروا نبوغا فى الجامعة ودراساتها . ولا يمكننا - مع ذلك - أن نحكم على أن مثل هذه التقديرات لا فائدة منها تماما فى التوجيه . فلا شك أن سجل درجات

الفرد لعدة سنوات متتالية قد يبين للعين الفاحصة اتجاهات معينة مثل ما إذا كان الفرد محتفظا بمستوى واحد متوسط أو منخفض أو مرتفع فى مادة واحدة أو عدد من المواد على ممر السنين ، أو ما إذا كان هناك عدم تناسق فى مستوى هـذه الدرجات فى المادة الواحدة أو المواد المختلفة ، فقد يبين السجل درجات عالية فى مادة من المواد فى سنة من السنين ثم انخفاضا فيها فى السنة التالية ، أو قد يبين نجاحا مطرداً فى مجموعة من المواد يقابلها فشل مستمر فى مجموعة أخرى . وبالاستقصاء قد يجد الاخصائى لمثل هذه الظواهر تفسيراً يساعده على توجيه التلميذ .

٤ ـ الاستعدادات الخاصة :

ما زالت آراء علماء النفس غـير متفقة على إعطاء تعريف محدد لما يسمى بالاستعدادات الخاصة . ويمكننا ـ مع ذلك ـ أن نعرفها وظيفيا وتجاوزا بأنها حالة أو خاصية أو مجموعة من الخواص فى الفرد تبين مدى احتمال نجاحه بالتدريب المناسب فى الحصول على مهارة من المهارات ، أو تحصيل نوع من المعلومات التى تتعلق بالميادين الميكانيكية والكتابية والمهـارة اليدوية والآلية والفنية . أى أن الاستعداد عبارة عن حالة حاضرة تبين ما قد يقدر عليه الفرد فى المستقبل . ويميل الموجهون إلى هذا التعريف الوظيفى لأن مناهج الدراسة والمهن المختلفة ترتبط عادة بهذه الميادين وتتطلب مثل هذه الاستعدادات بالإضافة إلى مستوى الذكاء العام .

ونعود هنا ونكرر افتقارنا إلى الاختبارات الموضوعية المقننة لقياس مثل هذه الاستعدادات . ويعوض هذا النقص إمكانية اكتشافها من تحصيل الفرد المدرسى ومن أوجه النشاط التى يميل اليها ويشترك فيها سواء فى المدرسة أو خارج جدرانها فى أوقات فراغه ، ومن هواياته ونوع الخبرات التى اكتسبها فى مثل هذه الميادين ومدى تفوقه فيها .

٥ ـ الميول :

ولعل أدعى المعلومات إلى التشكك فى مدى صحتها هى الميول لاحتمال خطأ ما يقوله الفرد عن ميوله المهنية وميوله فى تقضية أوقات فراغه وهواياته . ولعل ذلك راجع إلى أن الأفـــراد قد يتأثرون فى حكمهم على ما يميلون اليه برغبات الأسرة أو بالصيت الأدبى أو المادى الممتاز للمهنة التى يعبر عن ميله اليها . ولعل فشل عدد كبير من الطلبة فى كليات كالطب والهندسة وما إليها يعزى إلى الاختلاف بين ميولهم الحقيقية وميولهم كما يعبرون عنها متأثرين بعوامل خارجية . لذا يجب أن يكون الموجه حذرا فى تقبل تعبير الفرد عن ميوله لأول وهلة .

وكما نفتقر إلى الاختبارات الموضوعية المقننة لقياس الذكاء والتحصيل المدرسى والاستعدادات الخاصة ، نفتقر كذلك إلى الاختبارات المقننة التى تقيس الميـول . بيد أنه يمكننا أن نساعد الفرد على التعرف على ميوله الحقيقية بتهيئة أوجه النشاط المختلفة التى يشترك فيها ويتخير منها ما يتفق وميوله . كما أن النشاط الذى يزاوله سواء داخل جدران المؤسسة أو خارجها ـ فى أوقات فراغه قد تضىء السبيل الى التعرف على الميول .

٦ ـ الاتجاهات النفسية :

من الأهداف التى تسعى المؤسسات الى تحقيقها تكوين اتجاهات نفسية سليمة فى الأفراد . ومن هذه الاتجاهات مثلا سعة الأفق العقلى ، والمرونة فى التفاعل مع الغير ، والرغبة فى التجديد والتغيير لصالح الفرد وصالح الجماعة ، وعدم التزمت ، والتفاؤل ، والنظر الى الحياة نظرة ايجابية خالية من التشاؤم ، والتسامح وما الى ذلك . ويقاس مدى نجاح البرامج العلاجية فى المؤسسات بالتعرف على ما لدى الفرد من استعدادات لاكتساب مثل هذه الاتجاهات قبـــل تطبيق أى برنامج علاجي . لهذا كان من الضرورى أن تتضمن دراســـة حالة الفرد التعرف على

اتجاهاته ومدى استعداده لتنمية الاتجاهات الصالحة واكتساب الاتجاهات الجديدة .

وهناك من المقاييس مايساعد على اكتشاف هذه الاتجاهات . بيد أننا لانريد أن نثقل على الاخصائيين بإرغامهم على تطبيق مقاييس معقدة قد وضعت لقياس اتجاهات فى ثقافات أجنبية . اذ يتمكن الاخصائى النابه من التعرف على اتجاهات الفرد النفسية فى المقابلة . فسؤال مثل : ما رأيك فى معارضة البعض لتعليم المرأة؟ وما رأيك فى رأى البعض الذى يقول أنه لا مانع من ضرب المرأة من آن لآخر لتأديبها ؟ ... مثل هذه الأسئلة - تبين الكثير عن اتجاهات الفرد النفسية نحو المرأة وكيف تحب معاملتها فى نظره .

٧ - الشخصية :

نعود ونؤكد هنا خلو الميدان فى مصر من أى اختبارات مقننة لقياس الشخصية بيد أنه مما يعزينا عن افتقارنا لمثل هذه الاختبارات أن الاختبارات التى وضعت فى الخارج لا تزال نتائجها مشوبة بالشك فى كثير من الأحيان ، ثم أنها تطعن بأنها لا تقيس ما تدعى أنها تقيسه . ويفضل كثير من الاخصائيين حكمهم على شخصية الفرد من دراسة حالته فى المقابلة . والمهم هنا أن نؤكد ضرورة شمول دراسة الحالة على أقصى ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن هذه الناحية فى الفرد . وقد بدأ المركز القومى فى ادخال اختبارات الشخصية الاسقاطية لاستخدامها . ويرجى منها الخير الكثير .

٨ - الحالة الجثمانية :

يقوم الطبيب بتزويد الاخصائى بهذه المعلومات . على أن تشخيص الطبيب يجب أن يكون شاملا واضحا حتى يتمكن الاخصائى من ادراك مدى العلاقة بين

الحالة الصحية وما يعانيه الفرد من مشاكل نفسية . وإذا سمحت الظروف باشتراك الطبيب فى دراسة الحالة ومناقشتها ، أدى هـذا إلى إيضاح ما قد يكون غامضا فى تقريره . على أن دراسة الحالة الصحية للفرد يجب أن تشمل معرفة الأمراض التى عانى منها وتاريخ حياته الصحى كله . وأهم من ذلك معرفة شعور الفرد نحو نفسه ونحو حالته الصحية ونظرته إليها .

* * *

هذا ملخص سريع لأهم المعلومات التى يجب أن تتضمنها دراسة حالة الفـرد وقد تعرضنا لأهم الوسائل التى يمكن استعمالها فى الحصول على هـذه المعلومات ، ولم نذكر منها إلا ما يمكن استعماله فعلا .

الشروط التى يجب مراعاتها فى جمع المعلومات :

يحدد روثنى وروينز (١٩٤٩) Rothney and Roens خمسة شروط يجب مراعاتها فى جمع المعلومات . وهذه الشروط هى :-

١ - العناية بالميزات الفردية الدقيقة : Individual Idiosyncracies

ويتطلب هذا العناية بأى عنصر من العناصر التى قـد تساعد على فهم سلوك الفرد والتى قد تكون من الندرة بحيث لا تميز إلا الفرد وحده عن غيره من الأفراد . وفى هذا الشرط تحذير للاخصائى الذى قد لا يلتفت إلا لمظاهر السلوك العـامة التى يسهل ملاحظتها لتكرارها المستمر ، بينما يحتم هذا الشرط ضرورة الإلتفات كذلك إلى المهارات النـادرة مثل الحساسية مثلا لتذوق الفن فى لوحات معينة بالذات ، ومثل هذه الحساسية لا توجد إلا فى أفراد نادرين . وقد تؤدى مساعدة الفرد على تنمية مواهب نادرة مد المجتمع بشخص سعيد يساعد على ارتقائه بدلا من شخص عامل عاطل . لذا يجب أن يكون الاخصائى حساسا لإدراك

المواهب أو المهارات أو نقط الضعف الخاصة النادرة فى الأفراد . بل يجب أن يسعى للبحث عنها فيهم. فاذا ما وجدها درس إمكانية تنميتها إلى الحد الذى يساعد الفرد على النجاح فيها .

ويهتم كثير من الاخصائيين بجمع المعلومات الموحدة عن كل من فى المؤسسة مثل صناعة الوالد وموطن عمله وتاريخ ميلاده وما إلى ذلك دون محاولة التعمق فى معنى ما يجمعونه من معلومات . فيقومون باستنتاجات خاطئة من معلومات جوفاء . فإذا كان لدينا فردان حرفة الوالد لكل منها هى المحاماة فلا يجوز أبداً الحكم بتساوى الفردين فى المستوى الثقافى والاجتماعى للأسرة ، لأن هناك تفاوتا كبيراً فى دخل المحامين ، وفى مستوى المعيشة بينهم مما يجب أن يتعرف عليه الاخصائى بالدراسة الفردية لكل فرد على حدة .

٢ ـ العناية بتقويم المعلومات :

ويتطلب هذا الشرط تقويم كل معلومة عن الفرد تقويما تاما دقيقا .

ومما يدعو إلى مراعاة هذا الشرط أن الطرق المختلفة لجمع المعلومات عن الفرد وطرق التوجيه ليست متساوية فى دقتها ودرجة صدقها ودرجة ثباتها . كما أن هذه الطرق ليست مستقلا بعضها عن بعض . كذلك تختلف هذه الطرق فيما بينها فى الوقت والمجهود والنفقات التى يتطلبها كل منها ، ونظراً لتعدد هذه الطرق وتشابهها يتحتم مراعاة تطبيق هذا المعيار عند اختيار الضرورى منها . لذا يجب أن يكون الاخصائى خبيراً بالأدوات المستعملة ، عارفا لمميزات كل منها والصالح منها والطالح ، ويجب أن تكون لديه القدرة على الاختيار فيما بينها بما يتفق ومقتضى الحال . ويجب أن نؤكد هنا أن كل أداة من الأدوات المستعملة فى دراسة الفرد لها مزاياها وعيوبها . وليست هناك أداة واحدة منها

تقيس ما يراد قياسه بدقة تامة لا تحتمل الخطأ . ونظراً لتعقد السلوك البشرى واحتمال الخطأ فى التنبؤ به لعدم دقة الطرق والأدوات المستعملة ، يتحتم على الموجه أن يكون حذرا فى أحكامه وفى النتائج التى ينتهى إليها . فنادرا ما يتمكن الموجه من دراسة الحالة دراسة تامة من جميع نواحيها ، ونادرا ما تكون الأدوات المستعملة صادقة صدقا تاما فيما تمدنا به من معلومات .

٣ - مراعاة العامل الثقافى :

ويتكون ذلك بدراسة البيئة الاجتماعية التى نشأ فيها الفرد دراسة تامة ، فقد بين لنا علماء النفس وعلماء الاجتماع أن التقاليد الاجتماعية قد تكون جلادا لا يعرف الرحمة تجلد الفرد بسوطها دون شفقة أو رحمة . وتحدد مثل هذه التقاليد سلوك الفرد واتجاهاته ، لذا يجب على الموجه أن يكون على علم ودراية بها وإلا أخطأ التوفيق فى فهم سلوك الفرد وتفسيره . فمعايير السلوك تختلف من ثقافة إلى ثقافة . فما كان يستحبه المدرس فى الجامعات الأمريكية مثلا أن يطلب منهم عند التسجيل فى الجامعة ملء إحدى خانات استمارة التسجيل التى يجب أن يذكر فيها اسم الأم ومستوى ثقافتها ومقدار دخلها ، وهذا أمر عادى بالنسبة للطالب الأمريكى بينما هو غريب على التقاليد المصرية . ولن يجرؤ مدرس فى إحدى المدارس الإعدادية أو الثانوية أن يسأل تلميذا عن اسم أمه لأن التقاليد تأبى عليه ذلك ، بينما الأم الأمريكية تكون على صلة الاتصال بين التلميذ والمدرسة التى قلما تلجأ إلى الأب . وكثير من الطلبة المصريين فى أمريكا يشكون من صديقاتهم أو زوجاتهم الأمريكيات اللاتى يصبحن صديقات لهن بالقبل حين مقابلته بعد غياب طويل ، مما كان يثير الخجل والوجوم لمثل هذا الفعل لتقاليد الثقافة المصرية التى ربوا فيها .

وكما تختلف معايير السلوك من ثقافة إلى ثقافة تختلف هذه المعايير من طبقة إلى طبقة فى الثقافة الواحدة فقد ثبت فعلا أن معايير الطبقة المتوسطة فى كثير من الثقافات من أقسى المعايير التى تتحكم فى الفرد، فالخوف مما قد يقوله الناس، ومحاولة الظهور بالمظهر اللائق أمام الغير، والرغبة فى الرقى والنجاح، ومراعاة الآداب العامة، وأصول الدين والنظافة، والمحافظة على العرض والشرف، والكرم الحاتمى والمباهاة والمفاخرة بالحسب والنسب أو الجاه والمال من المعايير التى تتحكم تحكما مطلقا فى الطبقة المتوسطة أكثر من غيرها من الطبقات. وتكون مثل هذه الضغوط مسئولة فى كثير من الاحيان عن جمود سلوك أبناء هذه الطبقة والمشاكل التى يعانون منها. وإذا عرفنا أن المؤسسات والعاملين فيها يعملون على نشر وتعضيد معايير الطبقة المتوسطة قدرنا مدى الضغط الذى يقع الافراد تحت وطأته.

ويحتم علينا مراعاة العامل الثقافى مراعاة ظروف البيئة والعوامل البيئية التى تؤثر فى الفرد مما يدعونا إلى دراستها دراسة تامة. فمفهوم النقص التى كان ينظر إليها قديما على أن الأساس فيها نقص عضوى أصبح ينظر إليها من ناحية شعور الفرد نحو هذا النقص نتيجة لنظرة الآخرين اليه، وانحراف الاحداث الذى كان يعزى قديما الى انخفاض معامل الذكاء أو إضطراب نشاط الغدد أو كيمياء الدم وما الى ذلك، يفسر الآن فى ضوء البيئة التى يعيش فيها الطفل والحى الذى يسكنه وأصدقاء اللعب والبيئة المدرسية، وتبين أن الفرحة المعوية التى كانت تعتبر مرضا جسمانيا من اختصاص الاطباء قد تكون نتيجة للارهاق الذى يعانى منه الشخص الطموح لفشله فى بلوغ مستوى الاهداف التى وضعها لنفسه، كما تبين أن مشاكل المراهقين التى كانت تعزى الى التغيرات الجسمانية التى يمرون بها وحدها أصبحت تعزى أيضا الى افتقارهم للمران الكافى الذى يصدم لما تتطلبه هذه المرحلة من النمو، وأصبحنا لا نلوم الطفل على فشله فى المدرسة بل نحاول دراسة الظروف التى أدت

به الى الفشل ، وأصبحنا نهتم بتهيئة ظروف العمل فى المصانع والمؤسسات اهتمامنا باختيار العمال لها .

بيد أننا لازلنـــا نفتقر الى الوسائل التى تساعدنا على دراسة البيئة دراسة صادقة ، وفى هذا تحذير للاخصائيين حتى يوجهوا العناية اللازمة فى دراستهم لظروف بيئة الفرد والسعى لتحسين الطرق المساعدة على مثل هذه الدراسة.

٤ ـ استغلال المعلومات الطولية :

يجب النظر إلى حياة الفرد كوحدة متصلة مستمرة ، وأن سلوكه الحاضر انما تمتد جذوره فى ماضيه . فمن الثابت فعلا فى انحراف الاحداث أن الحادثة الاولى التى تؤدى الى القبض على الحدث يسبقها عادة تاريخ طويل من الاضطراب وعدم التكيف، وأن عدم التكيف لايظهر وليد ساعته فقد وجد جلوك وجلوك (١٩٥٢) أن بدء الانحراف ظهر حوالى سن السابعة أو دون ذلك فى حوالى ٤٨ ٪ من المنحرفين فى بحثها ، وفيما بين الثامنة والعاشرة فى حوالى ٣٩ ٪ ، أى حوالى ٩٠ ٪ من المجموعة كلها ظهرت عليها بوادر الانحراف قبل السن التى يبدأ الاولاد فيها انتمائهم الى جماعات منظمة .

إن أعراض السلوك المرضية فى الطفولة كالثورات الانفعالية والتقلب فى المزاج، وقضم الاظافر ، والتبول اللارادى ، والكذب ، والانزواء ، وما الى ذلك قد تكون جذوراً لمشاكل أخطر فى مرحلة المراهقة والشباب .

لهذا يجب أن توجه العناية الكافية لدراسة ماضى الفرد . فنادراً ما يخلو سلوك الفرد فى الحاضر فى مُوقف من المواقف من أثر العوامل الماضية فى تاريخ حياته . حقا قد تفقد بعض العوامل فى ماضى الفرد أهميتها فى تفسير سلوكه الحاضر ، بيد أنه يجب ألا يدعونا هذا الى تجاهل الماضى ، فالعوامل الماضية قد تستمر ذات أثر فعال رغم تغير السلوك فى مظهره .

٥ ـ الاستمرار فى تقويم الحالة :

يجب أن يستمر الاخصائى فى تقويم الحالة فى ضوء كل معلومات جديدة يحصل عليها ، فما لا شك فيه أن بعض أنمـــاط سلوك الفرد تتضح بمجرد الحصول على المعلومات الأولية عنه ، فتظهر بعض نواحى القوة ونواحى الضعف فيه . ثم يتبين كلما تعمقنا فى دراسة الحـالة ان هذه الآراء الأولى عن الفرد خاطئة تماما ، بيد أن هذه الآراء لها فائدتها فى أنها تعطينا فكرة عامة عن الفرد ، كما تضيء لنـا سبيل البحث والدراسة . لذا يجب الحذر من الحكم على الفرد من هذه المعلومات الأولية ، كما يجب ألا يمنعنا احتمال الخطأ فى الحكم من فرض الافتراضات التى قد تساعد على الدراسة ، والانتظار حتى تتجمع لدينا كل المعلومات اللازمة. ويجب كلما تقدم الاخصائى فى دراسة الحالة وزادت لديه المعلومات اللازمة أن يعيد التفكير فى افتراضاته حتى يمكنه التشخيص السليم ، على أن يكون تشخيصه للحالة عرضة للاثبات أو النفى فى ضوء ما يتجمع لديه من معلومات جديدة . إذ ليس هناك تشخيص مؤكد لحالة من الحالات إلا فى القليل الشاذ من الحالات ، بينما لا يكون التشخيص واضحا فى معظم الحالات وخاصة تلك التى تتضمن مشاكل نفسية عميقة. لذلك يجب التأكيد أن كل تشخيص يقوم به الاخصائى ما هو إلا تشخيص مؤقت يقوم مقام الافتراض ، وهو بذلك عرضة للاختبار والتمحيص فى ضوء ما يتجمع لديه من معلومات ، وعرضة لأن يتخلى عنه إذا ما ثبت عدم صحته .